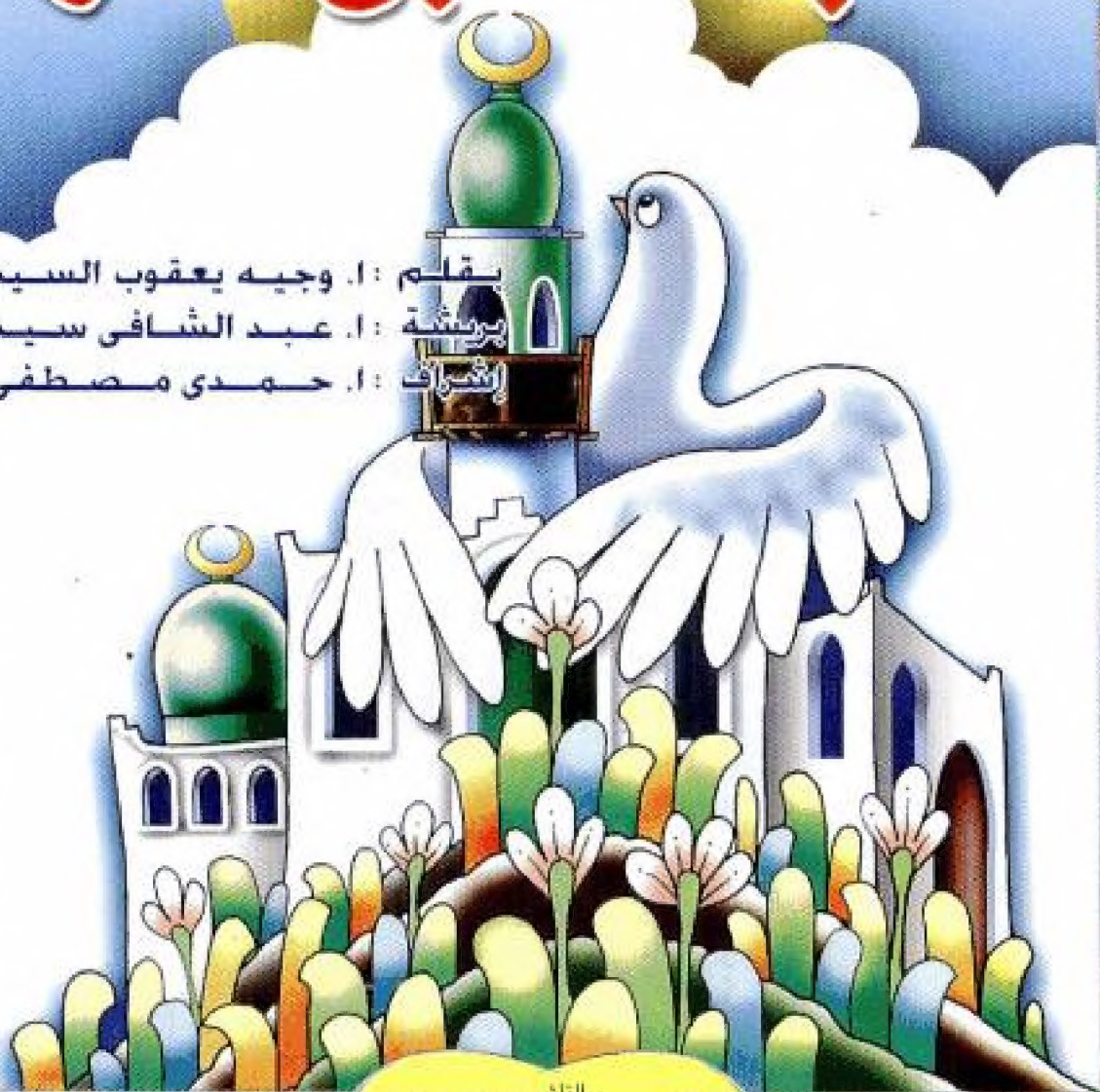


# العايد الزاهد

## عبد الله بن عمر

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد  
 بريشة : أ. عبد الشافي سيد  
 إشراف : أ. حمدي مصطفى



الناشر  
 المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٥٥ - ٣٨٣١٨٧  
 فاكس : ٣٨٣٧٠٠٢





## أشبال الإسلام

«الطفولة» مرحلة مهمة للغاية . وهي ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان في شبابه وفي رجولته . وفي هذه السلسلة تطالع :  
صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .  
إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره في الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .  
وسوف يجد الطفل المتعة في أثناء قراءة هذه السلسلة التي كتبت بأسلوب قصصي مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الآلسن  
جامعة عين شمس

## العابد الزاهد

## عبد الله بن عمر

بقلم : أ. ووجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ت : ٥٩.٨٥٥ - ٢٨٢٥٥١ - ٢٨٦١٩٧  
فاكس : ٢٨٧٧٠٠٢

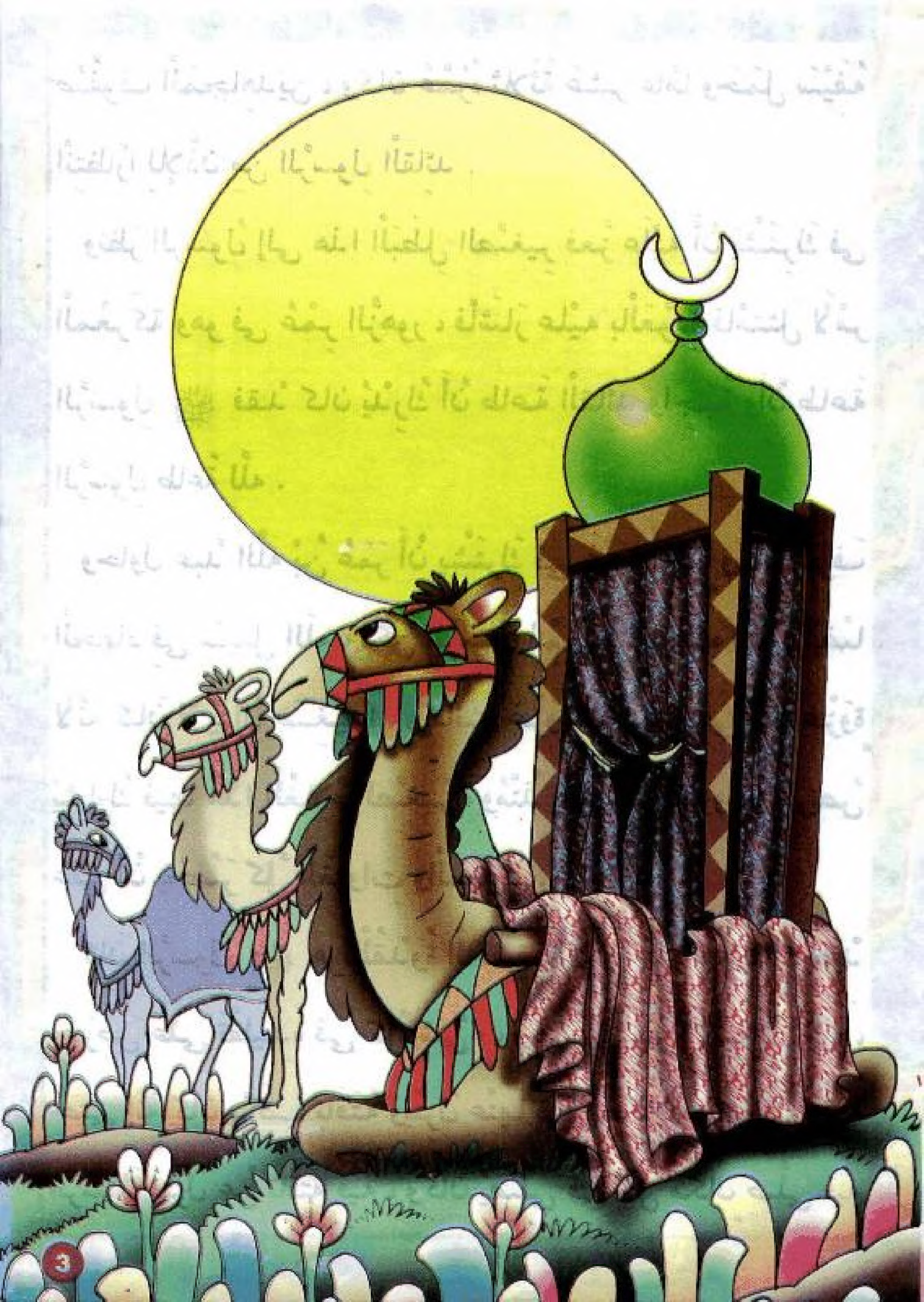


عِنْدَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، كَانَ عُمَرُ  
عَبْدُ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، لَكِنَّ الَّذِي يَرَاهُ كَانَ يَعُدُّهُ مِنَ  
الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ الْأَشِدَّاءِ الَّذِينَ يُقَدَّرُونَ الْمَسْئُولِيَّةَ حَقَّ قَدْرِهَا .  
وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ وَضَعْفِ بُنْيَانِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَقَدْ  
هَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مُتَحَمِّلًا مَشَاقَّ الرِّحْلَةِ وَأَلَامَهَا  
فِي رُجُولَةٍ وَشَجَاعَةٍ . بَلْ إِنَّ اللَّحْظَةَ الْحَاسِمَةَ الَّتِي اخْتَارَ فِيهَا أَنْ  
يُصْبِحَ مُسْلِمًا تَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِ وَذَكَاءٍ شَدِيدٍ ، فَقَدْ عُرِضَ  
عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَرَاحَ يَسْأَلُ عَنْ كُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ حَتَّى اطْمَأَنَّ  
قَلْبُهُ وَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْحَقِّ فَاخْتَارَهُ طَائِعًا وَهُوَ مَازَالَ  
طِفْلًا صَغِيرًا .

وَمَا زَالَ الْإِسْلَامُ يَنْمُو فِي هَذَا الْقَلْبِ الصَّغِيرِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى  
صَارَ شَجَرَةً يَانِعَةً مُمْتَدَّةَ الظَّلَالِ .

فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ وَمُوَاجَهَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ،  
أَدْرَكَ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالْتَّمَنَّى وَلَا بِالْكَلامِ وَلَكِنَّهُ بِالْعَمَلِ  
الشَّاقِّ وَالْجِهَادِ الْمُضْنِيِّ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ سَارَعَ بِالانْضِمَامِ إِلَى







صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا وَحَمَلَ سَيْفَهُ  
اِنْتِظَارًا لِلْإِذْنِ مِنَ الرَّسُولِ الْقَائِدِ .

وَنَظَرَ الرَّسُولُ إِلَى هَذَا الْبَطْلِ الصَّغِيرِ فَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي  
الْمَعْرَكَةِ وَهُوَ فِي عُمُرِ الزُّهْرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْعُودَةِ فَاِمْتَثَلَ لِأَمْرِ  
الرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ طَاعَةَ الْقَائِدِ وَاجِبَةٌ وَأَنَّ طَاعَةَ  
الرَّسُولِ طَاعَةٌ لِلَّهِ .

وَحَاوَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَيَنَالَ شَرَفَ  
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا  
لَأَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ هِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ  
يُشَارِكُ فِيهَا هَذَا الْغُلَامُ الصَّغِيرُ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَهُوَ حَرِيصٌ  
عَلَى أَنْ يَحْضُرَ كُلَّ الْغَزَوَاتِ وَالْمَعَارِكِ .

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْقُدْوَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِابْنِ عُمَرَ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ  
حَرَصَ عَلَى تَقْلِيدِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْاِتِّبَاعِ لِآثَارِهِ ،  
حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ نَاقَتَهُ وَيَنْزِلُ عَنْهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَأَى فِيهِ  
الرَّسُولَ يَنْزِلُ عَنْ نَاقَتِهِ فِيهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ مَكَانٍ صَلَّى فِيهِ



الرَّسُولُ لَكَ يَخْصُلُ عَلَى الْبَرَكَةِ وَالْثَوَابِ .. وَمِمَّا يُدَلُّ عَلَى شِدَّةِ  
حِرْصِهِ عَلَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ يُصَلِّي تَحْتَ شَجَرَةٍ فَكَانَ  
يَتَعَهَّدُهَا بِالْمَاءِ وَيَسْقِيهَا مِنْ وَقْتٍ لآخرَ حَتَّى لَا تَذْبُلَ وَيَبْسُرَ  
وَرَقُّهَا .





نشأ ابنُ عُمَرَ نشأةً فيها استقامةٌ وطهرٌ فلمْ يعرفْ الانحرافَ أو  
الزَّيغَ أبدًا ، فقد قال عنه عبدُ الله بنُ مسعودٍ :

– إِنَّ أَمْلَكَ شَبَابٍ قُرَيْشٍ لِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ .

وَبِسَبَبِ تَمَسُّكِ الشَّدِيدِ بِالْمَبَادِي وَالْقِيمِ قَالَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ :

– مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ أَدْرَكَ الدُّنْيَا إِلَّا مَالَتْ بِهِ وَمَالَ بِهَا غَيْرَ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .

فهو طرازٌ فريدٌ قلَّ أَنْ يَتَكَرَّرَ ، وَنَمُودَجٌ يَجِبُ أَنْ يُحْتَذَى .

كَانَ ابْنُ عُمَرَ تَقِيًّا يَخْشَى اللَّهَ فِي كُلِّ أُمُورِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ

أَحَدًا كَمَا يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَسْوِيَاءَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ .

فَقَدْ خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ

وَوَضَعُوا السُّفْرَةَ لَهُ ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمُ السَّلَامَ

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

– هَلُمَّ يَا رَاعِي ، فَأَصِْبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ .

فَقَالَ الرَّاعِي :

– إِنِّي صَائِمٌ .



فسأله ابنُ عمرَ :

- أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ الشَّدِيدِ سَمُومُهُ ، وَأَنْتَ فِي  
هَذِهِ الْحَالِ تَرْعَى هَذِهِ الْغَنَمَ ؟  
فَأَجَابَ الرَّاعِي فِي إِيمَانٍ وَسَكِينَةٍ .





- إِنَّنِي أَبَادِرُ أَيَّامِي هَذِهِ الْخَالِيَةَ ، وَأَعْمَلُ لِيَوْمٍ أَشَدَّ .

فَارَادَ ابْنُ عُمَرَ أَنْ يَخْتَبِرَهُ وَيَتَأَكَّدَ مِنْ وَرَعِهِ فَقَالَ :

- فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَتُعْطِيَكِ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيَكِ

مِنْ لَحْمِهَا مَا تُفْطِرُ عَلَيْهِ ؟

فَرَدَّ الرَّاعِي :

- إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي .

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

- فَمَا يَفْعَلُ سَيِّدُكَ إِذَا فَقَّدهَا ؟

- فَابْتَعَدَ الرَّاعِي عَنْهُ وَأَنْهَى حَدِيثَهُ مَعَهُ ، وَهُوَ رَافِعٌ أَصْبُعَهُ إِلَى

السَّمَاءِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- فَأَيْنَ اللَّهُ ؟

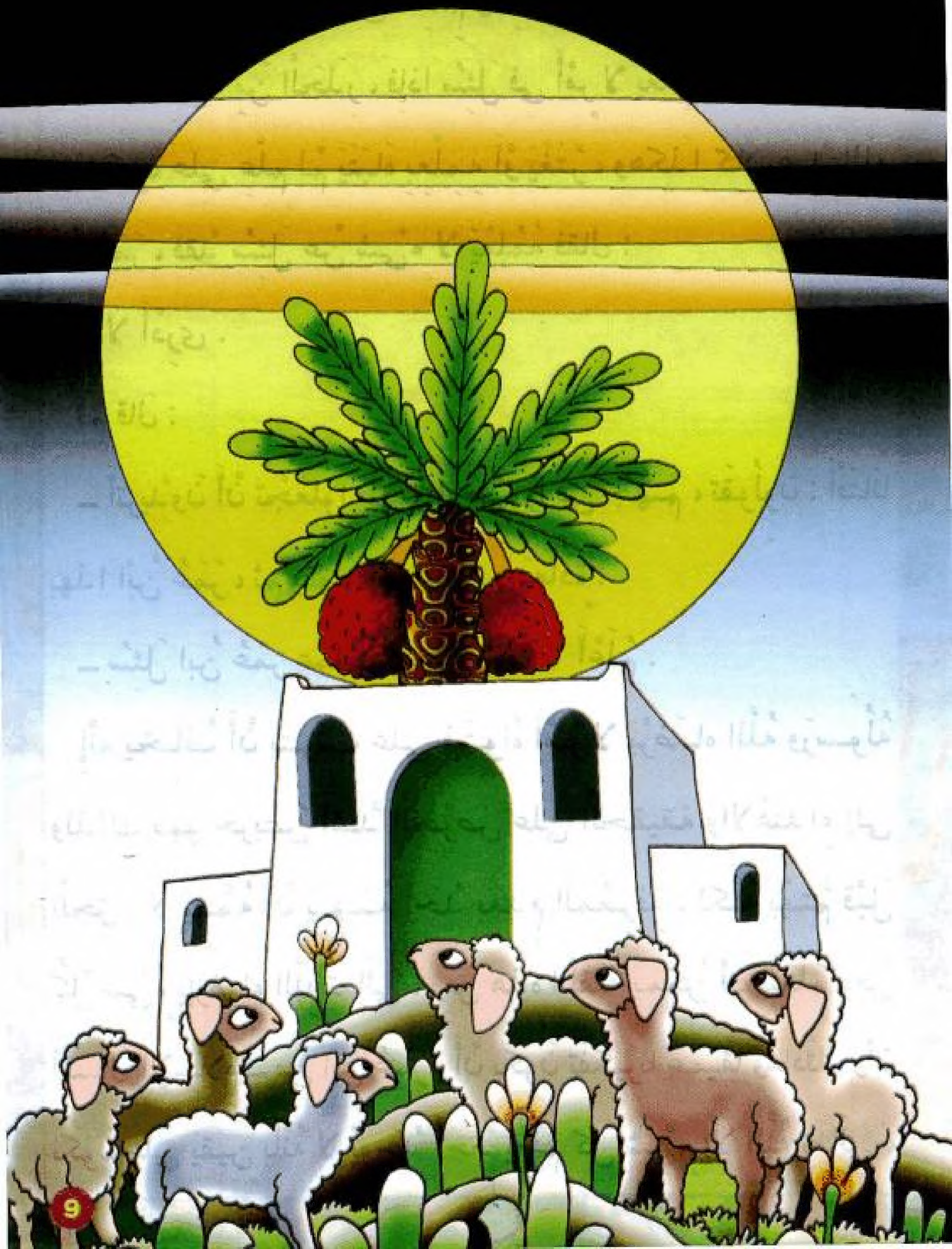
فَظَلَّ ابْنُ عُمَرَ يَرُدُّ قَوْلَ الرَّاعِي وَيَقُولُ فِي تَأَثُّرٍ بَالِغٍ :

- « قَالَ الرَّاعِي : فَأَيْنَ اللَّهُ ؟ »

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى مَوْلَى هَذَا

الرَّاعِي فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي ، فَأَعْتَقَ الرَّاعِي وَوَهَبَهُ الْغَنَمَ !







كُلَّمَا ارْتَقَى الْإِنْسَانُ فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ كُلَّمَا كَانَ تَفْكِيرُهُ عَمِيقًا  
هَادِثًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَذَرِ ، فَإِذَا سُئِلَ فِي أَمْرٍ لَا يَعْلَمُهُ قَالَ : لَا أَعْلَمُ ،  
وَإِذَا كَانَ عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَتَبَاهَ بِعِلْمِهِ أَوْ يَغْتَرَّ ، وَهَكَذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ  
بْنُ عُمَرَ ، فَقَدْ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ فَقَالَ :

- لَا أَدْرِي .

ثم قال :

- أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا ظُهُورَنَا جُسُورًا فِي جَهَنَّمَ ، تَقُولُونَ : أَفْتَانَا  
بِهَذَا ابْنُ عُمَرَ ، ثُمَّ يَقُولُ فِي غِبْطَةٍ وَسَعَادَةٍ :  
- سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ ، فَقَالَ لَا أَعْلَمُ .

إِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَى فَتْوَاهُ أَمْرٌ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَلِذَلِكَ فَهُوَ حَرِيصٌ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَى  
الْحَقِّ ، لَا يُهَمُّهُ أَنْ يَتَّهِمَهُ أَحَدٌ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ ، لَكِنَّهُ يَهْتَمُّ قَبْلَ  
كُلِّ شَيْءٍ بِإِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ يُمْكِنُ أَنْ نَتَعَلَّمَ نَحْنُ  
أَشْبَالَ الْإِسْلَامِ - مِنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنْ يَكُونَ تَفْكِيرُنَا عَمِيقًا وَهَادِثًا ، وَأَنْ  
نَكُونَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ،







ولذلك فمهما كانت معارفنا وثقافتنا فإن فوق كل ذي علم عليمًا ،  
وصدق الشاعر الذي يقول :

فقل لمن يدعى في العلم معرفة .. عرفت شيئًا وغابت عنك أشياء  
ولأنه كان ورعًا تقيًا فقد عرض عليه أرفع المناصب فرفضها ؛  
ولم يكن رفضه لها بسبب عجزه عن القيام بها أو عدم صلاحيته ،  
ولكنه كان بسبب خوفه الشديد من أن يقصر في عمله أو يظلم  
بريئًا .

لقد كلفه «عثمان بن عفان» بتولى القضاء وألح عليه في  
قبوله ، لكنه اعتذر لعثمان قائلاً :

— أو يعفيني أمير المؤمنين ؟

فقال عثمان :

— وما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضى ؟

فقال ابن عمر :

— لقد بلغني أن القضاء ثلاثة ..

قاضي يقضى بجهل فهو في النار .







وقاض يقضى بهوى . فهو فى النار .

وقاض يجتهد ويصيب ، فهو كفاف ، لا وزر ، ولا أجر . .

وإنى لسائلك بالله أن تغفنى .

واستجاب «عثمان بن عفان» لرغبة ابن عمر وأعفاه من منصب

القضاء ، برغم حاجته الشديدة لكفائه .

العبادة هى زاد المؤمن التى يجد فيها راحة نفسه وطمانينة

بآله ، وهى ليست مجرد حركات يؤدّيها ، أو أفراد يتمّم بها ،

ولكنها سلوك وزهد وأشواق إلى النور .

ولقد كانت عبادة ابن عمر نموذجاً يحتذى ، حيث كانت

العبادة عنده تعنى التمسك بتعاليم الإسلام وقيمته ، وتعنى الورع

والتقوى والابتعاد عن الشبهات لقد كان «ابن عمر» يقوم الليل

ويصلّى فى خشوع لله ، ويبكى من خشية ويستغفر لذنوبه

ويرجو رحمة ربه ويخشى عقابه .

وسبب تمسك «عبد الله بن عمر» بقيام الليل والصلاة والناس







نِيَامٌ ، أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَيْثُ رَأَى كَأَنَّ بِيَدِهِ  
قِطْعَةً إِسْتَبْرَقٍ ، وَكَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ مَكَانًا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ بِهِ إِلَيْهِ . .  
فَلَمَّا قَصَّتِ السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ أُخْتَهُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

– نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَيُكْثِرُ .





لَقَدْ أَدْرَكَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ» مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ ، أَنَّهُ  
لِكَيْ يَنَالَ هَذِهِ الْمَكَانَةَ فِي الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَظِّبَ عَلَى الصَّلَاةِ  
وخاصَّةً صَلَاةِ اللَّيْلِ فِي أَثْنَاءِ نِيَامِ النَّاسِ ، لِأَنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى  
التَّقْوَى وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ حَرَّصَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ  
مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَحَتَّى آخِرِ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ  
حَتَّى تَتَحَقَّقَ رُؤْيَاهُ وَيَحْظِيَ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ .





وكان عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يَبْكِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَيُكَأُّهُ  
يَدُلُّ عَلَى رِقَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَأَنَّهُ يَتَلَقَّى الْقُرْآنَ كَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، كَمَا  
أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِشْعَارِهِ لِلْمَسْئُولِيَّةِ وَالْأَمَانَةِ الْمُلقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِ ،  
فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا  
مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» ، فَإِنْسَانٌ أَوَّلَى مِنَ الْجَمَادِ بِأَنَّهُ يَحُسُّ  
عَظَمَةَ كِتَابِ اللَّهِ وَيَسْتَشْعِرُ ضَرُورَةَ الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِ نَحْوَهُ .

وَاشْتَهَرَ (عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ) بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ  
عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَدْ يُنْفِقُ كُلَّ مَا مَعَهُ  
مِنْ مَالٍ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ ، فَذَاتَ مَرَّةٍ جَاءَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ  
دِرْهَمٍ مِنْ تِجَارَةٍ ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ رَأَاهُ أَحَدُ الصَّحَابَةِ وَهُوَ  
يَسْتَدِينُ مَالًا لِكَيْ يَشْتَرِيَ عِلْفًا لِنَاقَتِهِ ، فَتَعَجَّبَ هَذَا الصَّحَابِيُّ  
وَذَهَبَ لِأَهْلِ بَيْتِ (عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ) وَسَأَلَهُمْ فِي دَهْشَةٍ :

- أَلَيْسَ قَدْ أَتَى لَابْنَ عُمَرَ بِالْأَمْسِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ؟

فَقَالُوا :

- بَلَى .







فَأَبْدَى تَعَجُّبَهُ وَقَالَ :

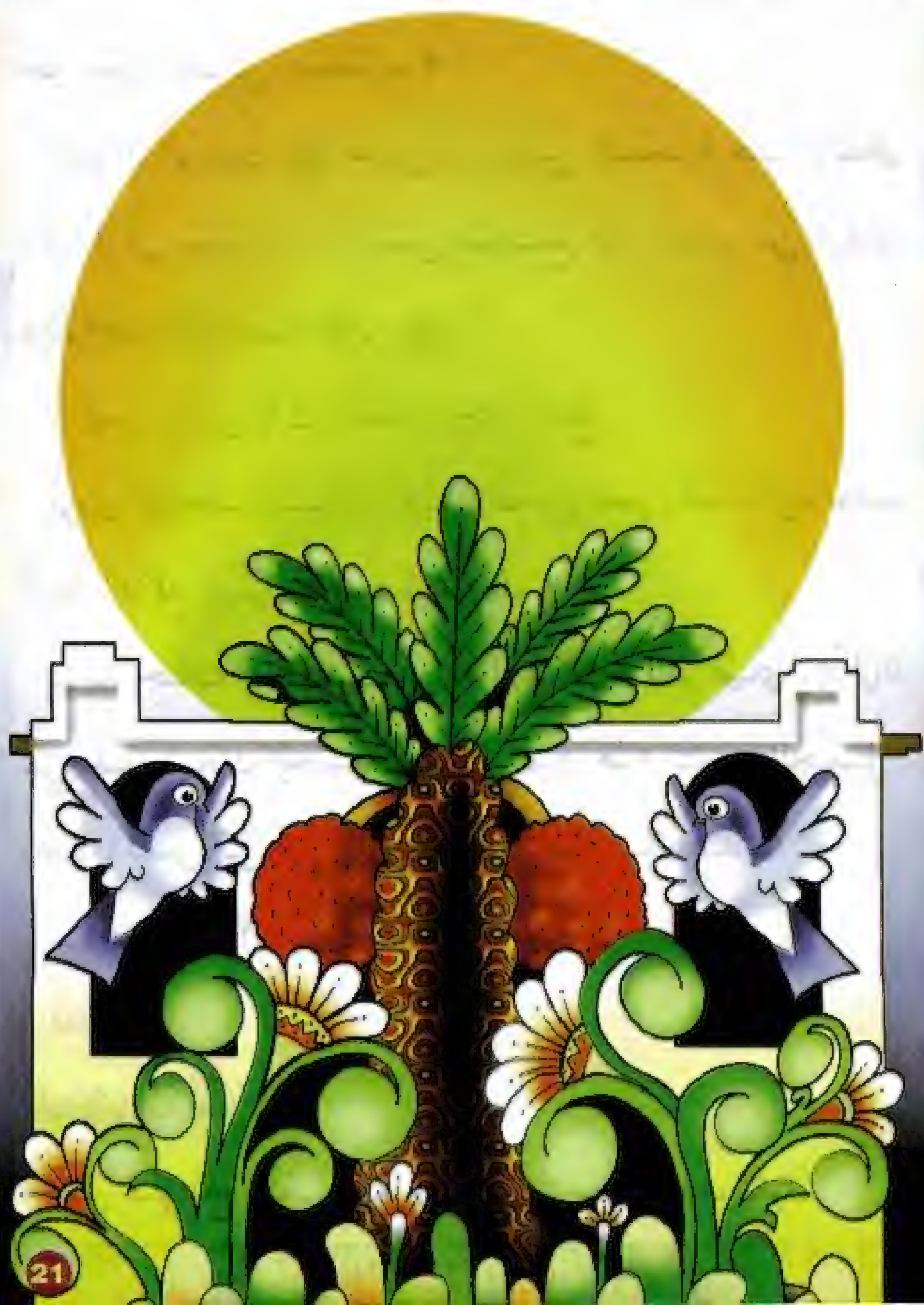
- فَإِنِّي رَأَيْتُهُ الْيَوْمَ بِالسُّوقِ يَشْتَرِي عَلْفًا لِرَاحِلَتِهِ وَلَا يَجِدُ مَعَهُ ثَمَنَهُ .

فَقَالُوا :

إِنَّهُ لَمْ يَبْتَ بِالْأَمْسِ حَتَّى فَرَّقَهَا جَمِيعًا ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَطِيفَةَ وَأَلْقَاهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَخَرَجَ ، ثُمَّ عَادَ وَلَيْسَتْ مَعَهُ . فَسَأَلْنَاهُ عَنْهَا فَقَالَ : إِنَّهُ وَهَبَهَا لِفَقِيرٍ .

قَدْ تَكُونُ هَذِهِ الصُّورَةُ الْفَرِيدَةُ فِي الْجُودِ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ الْآنَ ، وَرَبِّمَّا لَا يَصَدِّقُ الْبَعْضُ أَنَّهَا حَدَثَتْ ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ النَّاسَ مَفْطُورُونَ عَلَى حُبِّ الْمَالِ ، وَعَلَى أَسَاسِ أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ أَلْفَ دِينَارٍ يَتَمَنَّى فِي قَرَارَةِ ذَاتِهِ أَنْ يَمْلِكَ أَلْفَيْنِ ، وَأَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ مِليونًا يَوْذُ لَوْ يُصْبِحُ مِليونَيْنِ ، وَلَكِنْ صَحَابَةُ الرَّسُولِ ﷺ كَانُوا شَيْئًا آخَرَ ، وَطِرَازًا مُخْتَلِفًا ، فَقَدْ كَانَ الْمَالُ بِالنَّسَبَةِ لَهُمْ وَسِيلَةً لَا غَايَةَ ، وَسِيلَةً تُعِينُهُمْ عَلَى أَنْ يَحْيُوا حَيَاةً طَيِّبَةً كَرِيمَةً ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَإِنَّهُمْ لَا يَبْخُلُونَ بِمَالِهِمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ







وَالْمَسَاكِينَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنْهُمْ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ غَرَسَ فِي نُفُوسِ الصَّحَابَةِ حُبَّ الْإِنْفَاقِ وَالْبَذْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَسَّسَ الْمُجْتَمَعَ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّكَافُلِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ ، فَقَالَ ﷺ :

– لَيْسَ مِنَّا مَنْ بَاتَ شَبَعَانًا ، وَجَارُهُ جَائِعٌ .

يُرَوَّى أَنَّ أَحَدَ أَصْدِقَاءِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) أَهْدَاهُ ثَوْبًا نَاعِمًا أَنِيقًا كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ خَصِيصًا لَهُ وَقَالَ :

– لَقَدْ جِئْتُكَ بِهَذَا الثَّوْبِ مِنْ خُرَّاسَانَ ، وَإِنَّهُ لَتَقَرُّ عَيْنَايَ ، إِذَا أَرَاكَ تَنْزِعُ عَنْكَ ثِيَابَكَ الْخَشِينَةَ هَذِهِ ، وَتَرْتَدِي هَذَا الثَّوْبَ الْجَمِيلَ .  
وَعِنْدَمَا لَمَسَ ابْنُ عُمَرَ الثَّوْبَ وَجَدَهُ نَاعِمًا فَسَأَلَ صَدِيقَهُ :

– أَحَرِيرٌ هَذَا ؟

فَقَالَ :

– لَا ، إِنَّهُ قُطْنٌ .

لَكِنْ عُمَرُ دَفَعَ الثَّوْبَ دَفْعًا وَأَعَادَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَهُوَ يَقُولُ :







- لا ، إِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي ، أَخَافُ أَنْ يَجْعَلَنِي مُخْتَالًا فَخُورًا ، وَاللَّهِ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .

لَقَدْ كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) رَجُلًا رَبَّانِيًّا ، يَدْرِكُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالْدُّنْيَا فَحَسَبُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ ، وَأَنَّهَا دَارُ عَمَلٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ حِسَابٍ .  
وَقَدْ وَعَى (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِكْمَةً ظَلَّ مُخْلِصًا لَهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ ، فَقَدْ قَالَ :

- أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِنَعْصِ جَسَدِي وَقَالَ :

- يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ . ثُمَّ قَالَ لِي :

- يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ . إِنَّمَا هِيَ حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ ، جَزَاءُ بِجَزَاءٍ ، وَقِصَاصٌ بِقِصَاصٍ ، وَلَا تَتَبَرَّأَنَّ مِنْ وَلَدِكَ فِي الدُّنْيَا فَيَتَبَرَّأَ اللَّهُ مِنْكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَيَفْضَحَكَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَمَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .







وبالها مِنْ نَصِيحَةٍ غَالِيَةٍ : ( كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ) ..

وهي لَا تَعْنِي أَنْ يَنْقَطَعَ الْإِنْسَانُ عَنِ الدُّنْيَا وَيُعْتَزِلَ النَّاسَ وَيَعِيشَ مَتَّقَوْعًا ، كَلَّا فَالْإِسْلَامُ لَا يُحَبِّدُ الْعُزْلَةَ وَالْاِعْتِزَالَ ، وَلَكِنهَا تَعْنِي أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ حَيَاتَهُ وَفَقَّ مَنِهَجِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مَتَعَلِّقًا بِذِكْرِ اللَّهِ لِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

ولو تَدَبَّرَ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ النَّصِيحَةِ فَإِنَّهُ سَيَجْتَهِدُ فِي حَيَاتِهِ وَيَجِدُ لِكُلِّ يَكُونُ مُوَاطِنًا صَالِحًا ، يُخْدِمُ نَفْسَهُ وَوَطَنَهُ وَأَبْنَاءَ أُمَّتِهِ ، وَلَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا لِأَنَّهُ سَيَخْشَى عُقُوبَةَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ .

إِذَنْ ، فَهِيَ نَصِيحَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ مَعَانِي الْخَيْرِ ، وَقَدْ عَاشَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) وَقَفًّا لِهَذِهِ النَّصِيحَةِ وَصَاغَ حَيَاتَهُ فِي ضَوْئِهَا ، فَلَمْ يَظْلِمَ أَحَدًا وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِي مُؤَامِرَاتٍ ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِهِ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ نُقْطَةً الْعُبُورِ لِلْآخِرَةِ .

وَلَقَدْ تَجَلَّى اتِّبَاعُ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَحْلَاكِ الْمَوَاقِفِ ، فَظَهَرَ ثَبَاتُهُ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَحِدْ عَنْهُ قِيدَ أَنْمَلَةٍ .







فَفِي أَثْنَاءِ الْفِئْتَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) وَبَيْنَ  
(الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ) الثَّقَفِيِّ وَالَّتِي انْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِ (عَبْدِ اللَّهِ  
بِ بْنِ الزُّبَيْرِ) حَاوِلَ ابْنِ عُمَرَ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُقَرِّبَ بَيْنَ  
وِجْهَاتِ النَّظَرِ الْمُخْتَلِفَةِ تَفَادِيًا لِلْقِتَالِ ، وَلَمَّا عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ اخْتَزَلَ  
وَلَمْ يَنْضَمْ لِأَيِّ فِرْقَةٍ وَلَمَّا سُئِلَ :

- أَتُصَلِّي مَعَ هَؤُلَاءِ وَمَعَ هَؤُلَاءِ وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ؟

قَالَ :

- مِنْ قَالَ : حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، أَجَبْتُهُ .

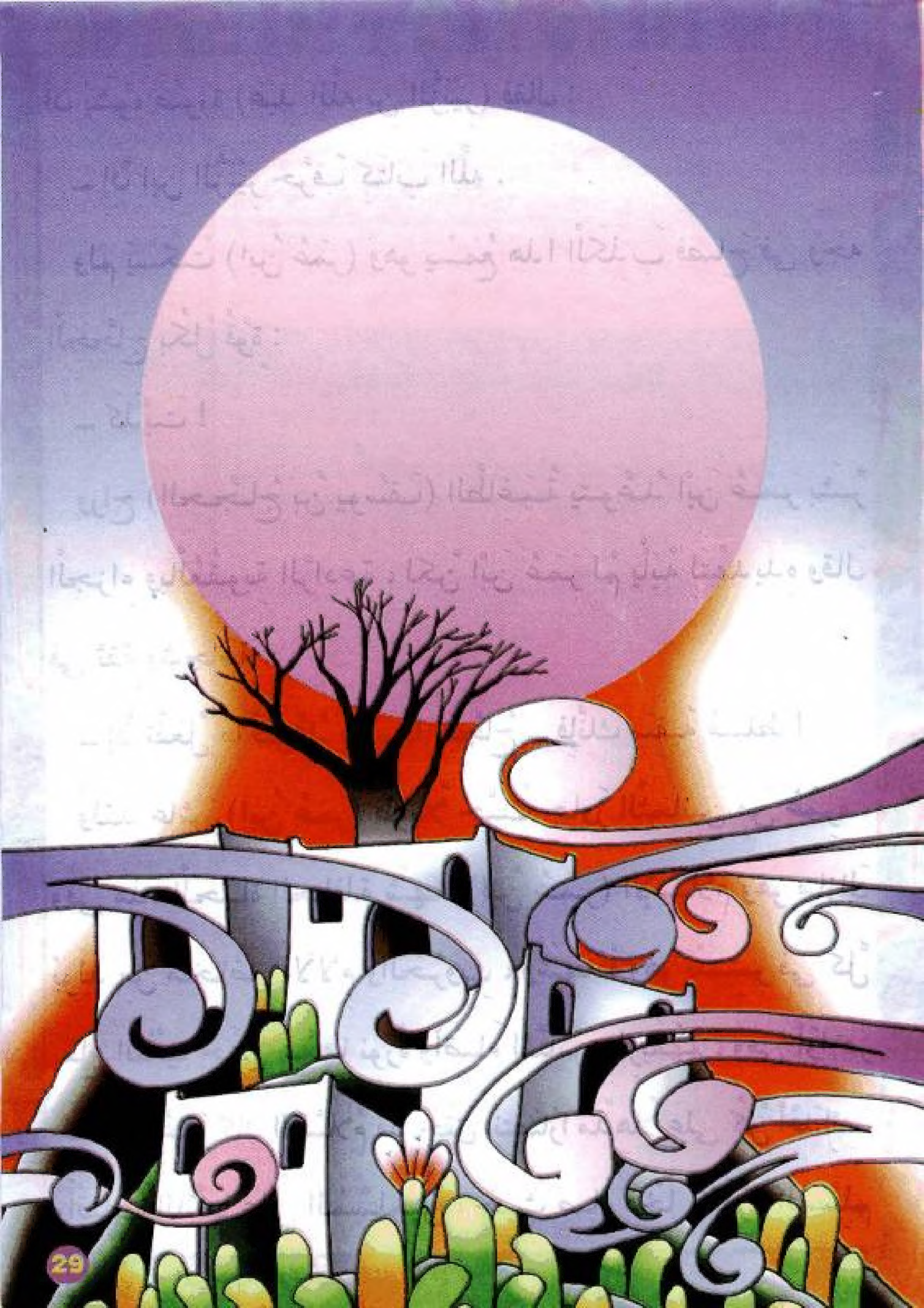
مِنْ قَالَ : حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ ، أَجَبْتُهُ .

وَمِنْ قَالَ : حَيٌّ عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ وَأَخْذِ مَالِهِ ، قُلْتُ :

لَا .

وَرَفَضَ (ابْنُ عُمَرَ) أَنْ يَحْمِلَ السَّيْفَ وَيُرِيقَ بِهِ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ  
يَكُنْ رَفْضُهُ نَاقِيًا مِنْ مَوْقِفٍ ضَعِيفٍ أَوْ تَحَاذُلٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ عَنْ قَنَاعَةٍ .  
وَعِنْدَمَا كَانَ الْمَوْقِفُ يَقْتَضِي مِنْهُ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فَإِنَّهُ لَا يَتَرَدَّدُ  
فِي قَوْلِهَا مَهْمَا كَلَفَتْهُ ، فَذَاتَ يَوْمٍ حَاوَلَ (الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ)







أَنْ يُشَوِّهَ صُورَةَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) فَقَالَ :

- إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَرَّفَ كِتَابَ اللَّهِ .

وَلَمْ يَسْكُتْ (ابْنُ عُمَرَ) وَهُوَ يَسْمَعُ هَذَا الْكَذِبَ فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ

الْحَجَّاجُ بِكُلِّ قُوَّةٍ :

- كَذَبْتَ !

وَرَأَى (الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ) الطَّاغِيَةَ يَتَوَعَّدُ ابْنَ عُمَرَ بِشَرِّ

الْجَزَاءِ وَبِالْعُقُوبَةِ الرَّادِعَةِ ، لَكِنْ ابْنُ عُمَرَ لَمْ يَأْبَهُ لِتَهْدِيدِهِ وَقَالَ

فِي ثِقَةٍ وَشَجَاعَةٍ :

- إِنْ تَفَعَّلَ مَا تَتَوَعَّدُ بِهِ - يَا حَجَّاجُ - فَإِنَّكَ سَفِيهُ مُسَلَّطٌ !

وَلَقَدْ عَاشَ (ابْنُ عُمَرَ) طَوِيلًا حَيْثُ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمَرِهِ ،

وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْحَافِلَةِ شَهِدَ (ابْنُ عُمَرَ) الْإِسْلَامَ وَهُوَ مَازَالَ

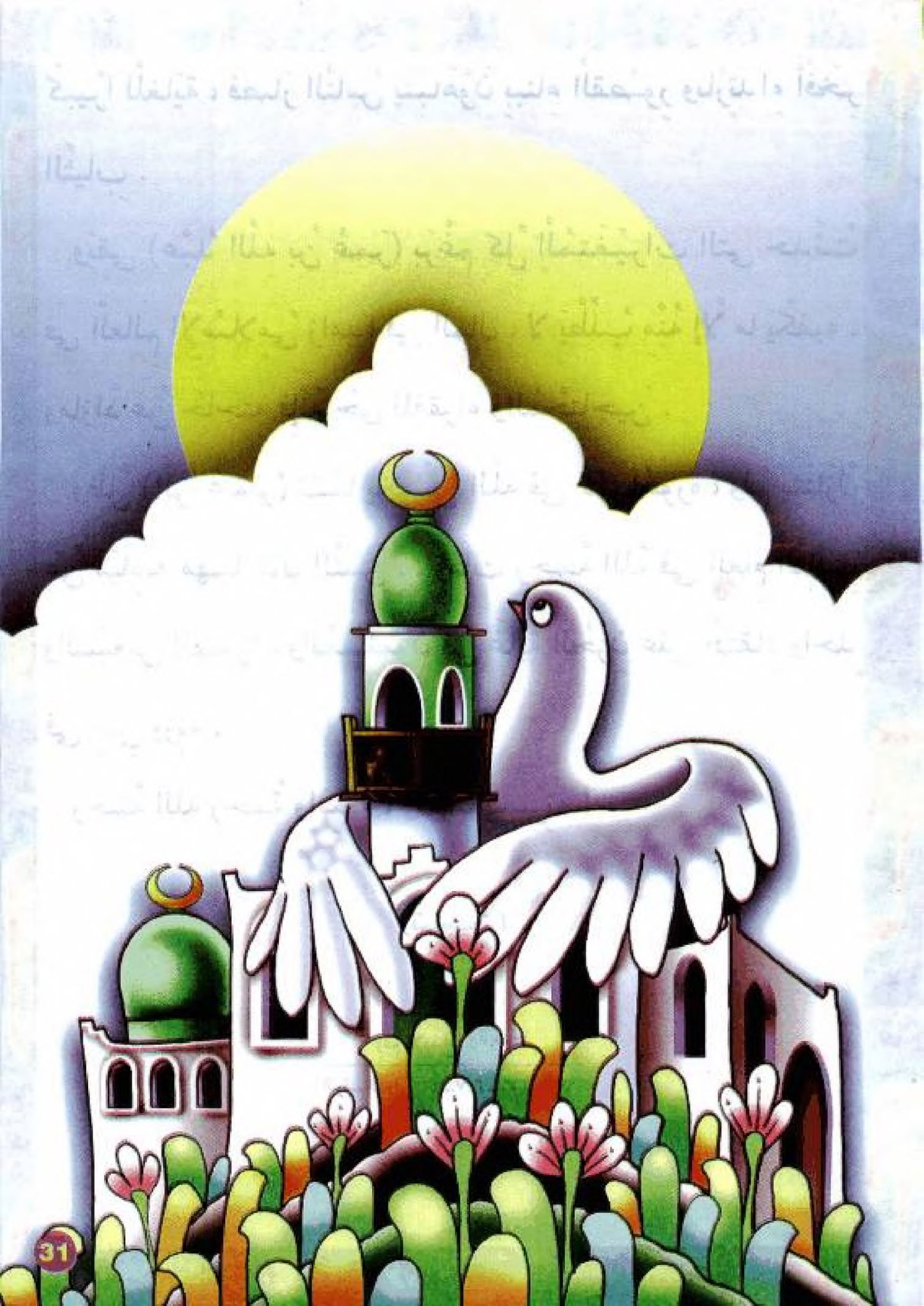
يُولَدُ مِنْ مَخَاضِ الْأَلَامِ وَالْحُرُوبِ ، وَشَهِدَهُ وَهُوَ يَنْتَشِرُ فِي كُلِّ

بِقَاعِ الدُّنْيَا حَتَّى عَمَّهَا نُورُهُ وَأَضَاءُ النَّاسِ طَرِيقَهُمْ ، وَفِي أَوَاخِرِ

حَيَاةِ ابْنِ عُمَرَ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ حَقَّقَ انْتِصَارًا مُذْهِلًا عَلَى كُلِّ أَعْدَائِهِ ،

وَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، حَيْثُ صَارَ دَخَلُ الْفَرْدِ الْمُسْلِمِ







كَبِيرًا لِلْغَايَةِ ، فَصَارَ النَّاسُ يَتَبَاهَوْنَ بِنَاءِ الْقُصُورِ وَبَارْتِدَاءِ أَفْخَرِ  
الْثِّيَابِ .

وَبَقِيَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) بِرَغْمِ كُلِّ الْمُتَغَيِّرَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ  
فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ زَاهِدًا فِي الْمَالِ ، لَا يَطْلُبُ مِنْهُ إِلَّا مَا يَكْفِيهِ ،  
وَمَا زَادَ عَنْ حَاجَتِهِ فَإِنَّهُ حَقٌّ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ .

وَزَلَّ (ابْنُ عُمَرَ) تَقِيًّا يَخْشَى اللَّهَ فِي كُلِّ أُمُورِهِ ، وَلَمْ يَتَنَازَلَ  
عَنْ مَبَادِيهِ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ . . . وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْعَامِ الثَّلَاثِ  
وَالسَّبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي غَايَةِ الْحُزْنِ عَلَى افْتِقَادِ وَاحِدٍ  
فِي مِثْلِ وَزْنِهِ .

رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعْنَا بِسِيرَتِهِ !

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

التروقيم الدولي : ٤ - ٣٠٧ - ٢٦٦ - ٩٧٧